مجلة ميلاف للبحوث والدراسات
المجلد 7 العدد 2 / ديسمبر 2021
ص ص 202-212

التجليات الأسطورية وتمظهراتها في شعر بدر شاكر السياب

Legendary's Manifestation in the Poetry of Badr Shaker ASSAYAB

عبير حديبي [1] * ، عبد السلام جغدير [2]

[1] قسم اللغة والأدب العربي، جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، مخبر التراث الأدبي الجزائري الرسمي والهامشي كلية الآداب واللغات، (الجزائر)،
a.hadibi@univ-skikda.dz

[2] قسم اللغة والأدب العربي، جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، مخبر التراث الأدبي الجزائري الرسمي والهامشي كلية الآداب واللغات، (الجزائر)،
a.djaghdir@univ-skikda.dz

الاستلام: 2021/05/02 القبول: 2021/06/23 النشر: 2021/12/31

ملخص:

شغلت الأسطورة فكر الباحثين حتى اعتبرت وسيلة للتعبير عن مواقف الإنسان المعاصر وقضاياه الوطنية والقومية، وهو ما جعلها تحتل مكانة مرموقة في مجال العلوم الإنسانية، وعُدّت مصدر إلهام عند الشعراء المعاصرين خصوصا وصارت مركز خيالهم الأدبي، فوظفوها في متونهم الشعرية للتعبير عن الجوانب الذاتية والسياسية والاجتماعية السائدة، وانطلاقا من ذلك سنحاول تتبع بصمات سلطة الأسطورة ورصد آليات توظيفها في شعر بدر شاكر السياب، لما عرف عن ريادته في استخدام الأساطير استخداما فنيا خلاقا، واستطاع تحميلها محمولات دلالية ارتبطت بقضايا وطنية وقومية وإنسانية.

الكلمات المفتاحية: الأسطورة؛ الإنسانية؛ الشعر؛ البعث؛ السياب.

Abstract:

The legend had occupied the mind of the researchers until it was made a means of expressing the positions of the contemporary human being and its national and political issues. That's whatmade it occupy a prominent place in the field of humanities. The legend was deemed as a source of inspiration, particularly for contemporary poets. Moreover, it became the centre of their literary imagination; they employ it in their poetry to express the prevailing personal, political and social aspects. Therefore, we attempt to trace the hallmarks of monitoring the mechanisms of its function in the poetry of Badr Shaker ASSAYAB because of his pioneering use of myths in a creative artistic way. Iin addition, his ability to make it contain semantic contents related to national, patriotic and humanitarian issues.

Keywords: legend; humanitarian; poetry; resurrection; assayab.

* المؤلف المرسل

1.مقدمة:

شكّل الخطاب الشعري المعاصر فضاء رحبا، وجمع بين الإبداع الفكري والقضية المواكبة لروح العصر، فقد انصهرت الأساطير في بوتقة النصوص الشعرية وشحنتها بطاقات إيحائية نابضة أخذت القارئ على جناح الأسطورة إلى عالم شعري مليء بالقرائن والعلامات اللسانية، فقد شكلت الأسطورة نظاما خاصا داخل بنية الخطاب الشعري العربي المعاصر، ورسمت بنية معرفية عميقة ارتبطت بمعتقدات الشعوب وأعرافها وتقاليدها، وبذلك تداخلت الأسطورة مع الخرافة مما زادها غموضا وتعقيدا.

ويبدو أن حضور الأسطورة في شعر السياب قد جاء نتيجة اطلاعه الواسع على الثقافة العربية والحضارة الإغريقية والرومانية والبابلية، فاستأنس بصورها وجعلها ملجأ أسراره العاطفية ورؤاه الشعرية والفكرية، فصارت وسيلة الشاعر يفتح من خلالها للقارئ أبوابا لتحليل شعره وتأويله وفك شفرات بنياته اللسانية والجمالية، ولهذا فقد اخترنا بعض النماذج الشعرية التي نظمها السياب لنحللها وفق منهج النقد الأسطوري وتطبيق آلياته مثل: (التجلي، المطاوعة، الإشعاع)، كما قمنا باستحضار آلية من الآليات السيميائية التي تميز بها تشارلز ساندرز بيرس(**charles Sanders Peirce**) للكشف عن التجلي الأسطوري داخل المتن الشعري، **فكيف تجلت العناصر الأسطورية داخل الخطاب الشعري عند السياب؟**

2. سلطة الأسطورة في الشعر المعاصر:

شغلت الأسطورة (The legend) منذ ظهورها الفكر الإنساني باعتبارها رافدا من روافد الفنون والعلوم الإنسانية الحديثة، فهي بطبيعتها خرافية ذات بعد أنثربولوجي وثيق الصلة بالتكوين البدائي للإنسان، حيث يمكن القول: إنَّ" الذاكرة بما لها من خاصية (الجماعية) تحتفظ بمادة أولية، بدأت المعرفة بها، ويمكن أن نطلق عليها مادة أسطورية، فقد شكلت وعيا أوليا... له بنيته الخاصة"(الخطيب، 2006، صفحة 38)، فقد استطاعت الأساطير ترك بصمتها في ذاكرة المجتمع البشري واعتلاء فكر الإنسان، لأنها تقدم تفسيرا خاصا لكثير من الظواهر الإنسانية وإن كان تفسيرا موسوما بمنطقها الخاص، "وثمة ظاهرة غريبة عرفها الشعر الحديث بتأثير ظروف اجتماعية معينة إذ أن العاطفة الإنسانية الكامنة في نفس الشاعر العربي كانت تستيقظ في الساعات التي يخيم فيها اليأس على العالم ويهدد البشر شبح الحروب، لتضفي على المشاعر القومية نفحات فياضة من الإنسانية الرحيبة" (دقاق، 1963، صفحة 157) فقد أسهمت تلك الظروف الاجتماعية والسياسية في خلق لغة شعرية راقية مشبعة بالموروث القديم والأساطير الشرقية والغربية.

لذلك "حرص الشعراء على أن يتجاوبوا من حين لآخر مع مشاعر الشعوب الأخرى دون أن تربطهم بهم رابطة دين أو قومية أو جوار وإنما كانت العاطفة الإنسانية وحدها مبعث تجاوبهم هذا، فقد أيقنوا أن المأساة لا تقتصر على أمتهم فحسب بل تشمل سائر الأمم بعد أن غدت البشرية المعذبة ضحية الظلم والعدوان" (دقاق، 1963، صفحة 168) فالمأساة الإنسانية جزء من تجربتهم الشعرية التي ظلت تواكب قضايا عصرهم وتعبر عن مواقفهم إزاء الحياة الإنسانية وما يحيط بها من غموض وتعقيد؛ "فالشاعر الحديث يعبر عن حياته الحديثة بكل ما فيها من صراع داخلي للذات وصراع خارجي مع الآخر ولم يعد يحاكي التراث في نماذجه الخالدة بل يبتكر نماذجه الشعرية من تجاربه الحاضرة مستفيدا من جذوره الثقافية والأدبية ومشرعا أبواب مخيلته وفكره للتراث الإنسانية في حيويته الحاضرة وموروثه ومخزونه الضخم" (العظمة، 2015، صفحة 26) ومن هنا نجد أن الشاعر

العربي قد تأثر بالشاعر الإنجليزي ت.س. إليوت(T.S.Eliot) في قضية المعادل الموضوعي وذلك بتوظيف الأسطورة واللجوء إلى التراث الإنساني الموغل في القدم.

وبذلك فإن موضوع الأسطورة "يمس جوهر الإنسان من جهة ومن جهة أخرى فإن التصور الذي تحمله أي ثقافة عن الأساطير يعكس نظرتها الإنسانية لطبيعة الإنسان"(كامبل، 2001، صفحة 114)، ولذلك اتخذت الأسطورة مظهرا من مظاهر الشعر العربي المعاصر تحمل قيمة إنسانية مفتقدة، وتكشف عن الحس الإنساني للذات البشرية الشاعرة.

3. تجليات الأسطورة في شعر بدر شاكر السياب:

إن اللجوء إلى الأسطورة في الشعر العربي المعاصر سببه اغتيال الواقع وكسر شموخ الإنسان المعاصر، لذلك يلوذ الشاعر بفكره إلى عالم فسيح مشبع بالخيال، يلبس قناعه من خلال استخدام الرمز الأسطوري المكثف الدلالة، للهروب من سلطة الواقع ومنع زحف ظلامه على أحلامه التخيلية.

ولعل جنوح الشعراء إلى توظيف الأسطورة راجع إلى ارتباط مضمونها بالتجربة الشعرية التي يعيشونها، حيث تنصهر الرموز الأسطورية في ثنايا النص الشعري، وتُشكل بنية عامة ذات أبعاد فنية ودلالية فـ"يستغل الشاعر المأثور الأسطوري القديم في تشكيل الصورة... من خلال إشارات رمزية تبدو في السياق للوهلة الأولى أنها مقصودة لمعناها الحرفي ثم يتضح من التحليل أن ورائها دلالة شعورية أخصب وأكثر امتلاء"(اسماعيل، التحليل النفسي للأدب، (د/س)، صفحة 111) فتوظيف الأساطير ينطوي على تسلية نفسية تتيح لنا فهم دوافع النفس البشرية، وبذلك تزداد قدرة القارئ على التأويل وفك شفرة النص الأدبي.

هكذا تكون الأسطورة في الشعر العربي الحديث بمثابة فتحة سحرية تمدها بدلالات وإيماءات مرتبطة بالتجربة الشعرية، فلكل شاعر رموزه الأسطورية الخاصة به تمد شعره برؤى وتصورات جديدة، لذلك سنقف عند أشعار السياب لإبراز تجليات الأسطورة وتمظهراتها في بعض النماذج الشعرية.

فالتوظيف الأسطوري عند السياب مر بمرحلتين: "في أولاهما كانت الأسطورة تعبيرا عن واقع قومي وحضاري، وفي ثانيتهما كانت تعبيرا عن ألم ذاتي ألهبه المرض الطويل والغربة والحرمان. وإذا كان ديوانه "أنشودة المطر" رصدا أمينا للمرحلة الأولى فإن ديوانيه اللاحقين "المعبد الغريق" و "منزل الأقنان" يعكسان ملامح المرحلة الثانية، وفيها تتحول الأسطورة من هيكل محدد القسمات إلى أصداء مبهمة تشف عنها القصيدة لا تبوح صراحة"(فتوح، 1977، الصفحات 289-290) فقد استطاع السياب استحضار الأساطير للتعبير عن معاناته مع المرض وقضايا بلده الجريح، والنجاح في جعل قصائده المشبعة بالعناصر الأسطورية تتسم بالشعرية.

إن الدخول إلى عالم السياب مغامرة تستلزم العودة إلى الثقافة البدائية، فالأسطورة تحمل في طياتها دلالات مختلفة تاريخية ووجدانية، تعطي للمتون الشعرية قيمة جمالية ذات لمسات شاعرية استعملها الشاعر استعمالا يليق برؤيته الثاقبة، وهذا ما سنوضحه من خلال ذكر أنواع الأساطير ودلالتها في أعماله الشعرية وفق آليات المنهج الأسطوري المتمثلة في التجلي، المطاوعة، الإشعاع.

1.3. تجليات أسطورة تموز

المتأمل في قصيدة **تموز جيكور** يجد أن الشاعر قام بتوظيف الأسطورة بشكل صريح في العنوان، دون الإحالة إلى معناها أو مخزونها الدلالي، فالعنوان يتضمن تركيبا اسميا مشكل من كلمتين نكرتين الأولى (تموز) وهو إله يدل على الخصب

والنمـاء والحيـاة في الأسـطورة البابليـة، ارتـبط اسمه بدورة الفصـول وتجدد الحياة، أما الثانية فهـي كلمـة (جيكـور) قريـة الشـاعر بـالعراق احتضـنت طفولتـه وذكرياتـه، تتميـز بأرضـها الخصبة وعالمها المليء بالدفء والأمان، أما المتن الشـعري فقـد كان حـافلا بالجزئيـات الأسـطورية الدالـة على أسـطورة تمـوز يقـول السـياب في هـذه المقطوعة:

"نَابُ الخِنزِيرِ يَشُقُّ يَدي
وَيغُوصُ لِظَاهُ إلى كَبِدِي
وَدَمِي يَتَدَفَّقُ يَنْسَابُ
لَمْ يَغْدُ شَقَائِقَ أَوْ قَمْحًا
لَكِنْ مِلْحًا"

(السياب، 2012، صفحة 73)

فالشاعر يسلط الضوء في هذه الأبيات على مقتل تموز من طرف خنزير بري متوحش، حيث يذهب إلى العـالم السـفلي ويأخـذ معـه حيـاة الطبيعـة، فيظهـر لنـا أن دمـه المنسـاب لـم يزهـر شـقائق النعمان ولم ينبت قمحا بل أنبت ملحا، وهذا يدل على أن الشـاعر فقـد الأمل في الحياة، لأن لفظة ملحا لا تجلب معها إلا زيادة حدة الجروح والآلام، فالسياب صرح بالأسـطورة على مسـتوى العنوان واستحضر دلالاتها داخل المتن الشعري.

أمـا المطاوعـة فقـد كانـت مـن خـلال الحـوار بـين الدلالـة الأصلية والدلالـة النصية، حيـث يبحـث الشاعر عن الحضور الدلالي خارج النص للتعبير عـن حالتـه النفسـية، فتمـوز دمـه يزهـر شـقائق النعمـان أمـا في سـياق الـنص نجـد أن دمـه تحـول إلى ملح، كما استحضر طيف عشـتار الذي يبحث عـن روح تمـوز ليبـين أنهـا سـتخرج مـن الأرض وتجلب معها إله الخصب والنماء، فهـو سـينهض ويُورق الطبيعة ويحل الربيع عكس السياب الذي لم يعد قادرا على الدفاع عن أرضه جيكور بسبب المرض الذي يدب في جسمه، لذلك فإن الربيع في العـراق شـبه مسـتحيل حيـث يقـول في قصـيدته السابقة:

"وَتُقَبّلُ ثَغْرِي عِشْتَار
فَكَأنَّ عَلَى فَمِهَا ظُلْمَة
تَنْثالُ عَليَّ وتَنْطبِقُ
فَيمُوتُ بِعَيْنِي الأَلَقْ
أَنَا والعَتْمَة" (السياب، 2012، الصفحات 73- 74)

فتمـوز قبّلتـه عشـتار قبلـة الحيـاة وانبعـث مـن جديد، أما السياب فإن دماءه لم تتحول لشقائق النعمان بل غدت ملحا تزيد من وجعه، وهذا يدل على جفاف الحياة، فالأرض المالحة تكون جرداء ولا تصلح للنماء والخصب.

أمـا الإشـعاع فقـد جـاء سـاطعا بسـبب تجلي العنصـر الأسـطوري بشـكل صـريح، حيـث اسـتطاعت الأسـطورة أن تغـرق الـنص بالـدلالات وتغمـره بالهـالات والطاقـات الإيحائيـة، وهـذا الانصهار بين العنصر الأسطوري والمتن الشـعري أدى إلى بنـاء شـعرية الـنص وتجلي الإشـعاع، ونسـتطيع أن نوضح ذلـك وفـق مخطـط بيرس السـيميائي:

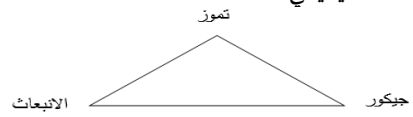

ينسج الشاعر تجربته الشعرية مع قريته جيكور بخيوط أسطورة تموز كاشفا عن ثنائيات ضدية تجسدت في: الموت والحياة / الخصب والجفاف / الضياء والظلام/ فتموز سينبعث مع فصل الربيع ويجلب معه مقومات الحياة، لتعود جيكور بحلتها المعهودة على الفرح والضياء والخصب.

2.3 .تجليات أسطورة عشتار:

عشتار كالمرأة زئبقية متعددة الدلالات "فكل سر مـن أسـرارها يفضي إلى سـر آخـر، ومـا نكـاد أن نمسـك بهـا في صـورة حتى تنحـل إلى أخـرى أو نقـبض عليهـا في هيئـة حتى تنقلـب إلى نقيضـها" (السـواح، 2002، صـفحة 28) فقـد اختلفـت تسـمياتها مـن حضـارة لأخـرى، فعنـد البـابليين

تعرف (بعشتار) وعند الفينيقيين (بعشتروت) وعند الإغريقيين (أفروديت) وعند الرومانيين (فينيس)، فهي ترمز للجمال والخصب والدمار والحرب، والمتأمل في قصيدة **سربروس في بابل** يجد أن عنوان القصيدة عبارة عن جملة اسمية تحمل اسمين الأول سربروس وهو كلب متوحش والثاني بابل اسم مكان مرتبط بحضارة العراق.

نثر السياب أوجاعه مستندا على توظيف أسطورة عشتار في المتن الشعري، حين صرح بها دون الإحالة على معناها أو مخزونها الدلالي، وهنا يظهر لنا التوظيف التراكمي اللفظي الذي يقوم بتكثيف العنصر الأسطوري ضمن مساحة دلالية ضيقة، كما أنه لجأ لتكرار اللازمة (ليعو سربروس في الدروب) وهذا يدل على تجلي الأسطورة بشكل واضح يقول في قصيدته:

"عِشْتار ربَّةُ الشَّمَالِ والجَنُوبْ
تَسِيرُ فِي السُّهولِ والوِهادْ
تَسِيرُ في الدُّرُوب
تَلْقُط منهَا لَحْمَ تَمُّوزَ إِذَا انْتَثَر
تلُمُّهُ في سَلَّة كَأَنَّهُ الثَّمرْ
لَكِن سَرْبرُوس بَابِل، الجَحِيمْ
يجُب في الدُّرُوب خَلْفهَا ويَركُضْ
يُمَزق النّعَال في أقْدَامِهَا يُعَضْعِضْ"
(السياب، 2012، الصفحات 130- 131)

فكما يعرف عن عشتار أنها ولدت من زبد البحر ونزلت إلى البر محمولة على صدفة محار، يقول الشاعر في قصيدته الموسومة **بالمومس العمياء**:

"زَبدُ الشَّواطِئ والمَحَّارَا
مُتَرقّبًا مِيلادَ أفْرُوديت لَيْلاً أَوْ نَهَارًا"
(السياب، 2012، صفحة 148).

التجلي في المقطعين واضح، فقد استحضر الشاعر الأسطورة ليطلق صرخة الوطن ويناشد الانبعاث رغم ما أصاب تموز والشعب العراقي من عقم وظلم، فهل ستنجح عشتار في جمع أشلاء تموز المنثورة في كل مكان؟ هنا نستحضر أسطورة إيزيس وأوزوريس الفرعونية، حيث تقوم إيزيس بالبحث عن أشلاء زوجها وتجمعها وهذا يرمز للموت والبعث من جديد، وعشتار ربة البعث والحياة وسيدة الهلاك والدمار تجسد أسطورة البعث، حيث تضع التفاؤل في نفس الشاعر داعيا أهل العراق بالنهوض من سباته والثورة على الاستبداد والظلم.

أما المطاوعة فأتت واضحة، حيث خدمت النص الأدبي وأثرته بالأبعاد الدلالية من خلال استعادة الحياة في العراق، فإن عشتار قد حافظت على دلالتها الأصلية (الخصب) وروت الأرض بدمها لتعيد تموز إلى الحياة يقول السياب في قصيدة سربروس في بابل:

"لِيعْوِ سَرْبرُوسَ فِي الدُّرُوب
لِيَنْهَشَ الإِلهَةُ الحَزِينَةُ، الإِلهَةُ المُرَوّعَة
فإِنَّ مِنْ دِمَائِهَا سَتَخْضِبَ الحُبُوب
سَيَنْبُتُ الإِلَهُ، فَالشَّرائِحِ المُوَزَّعَةِ
تَجَمَّعت، تَلمْلَمَتْ، سَيُولَدُ الضِّيَاءُ "
(السياب، 2012، صفحة 131)

فرؤية الشاعر توحي بواقع أليم في بلده العراق لهذا لجأ إلى تحويل قصيدته إلى معترك أسطوري، فشبه عبد الكريم قاسم الذي أذاق العراق طعم الألم بسربروس الذي ألحق الأذى بعشتار صاحبة الخصب والحب والجمال، حيث أن دمها المقدس ارتوت منه الأرض وسقت به روح تموز، فعزفت ألحان الحياة بعودته ونثر عبيره المشبع برحيق عشتار في أرجاء العراق.

ليأتي الإشعاع بعد ذلك مستترا وملغزا كون التجلي الأسطوري كان واضحا صريحا في المتن الشعري وسنوضح هذا التجلي الأسطوري من خلال مخطط بيرس:

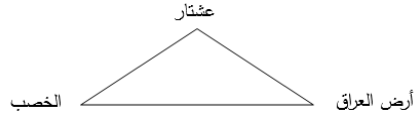

يوضح لنا مخطط بيرس محاولة عشتار جمع أشلاء تموز المتناثرة، أملا في عودته للحياة وجلبه الخصب للعراق رغم تعرضها للأذى من طرف

الكلب المتوحش سربروس، إلا أن دمها ساهم في بعث الحياة والخصب في العراق.

3.3 تجليات أسطورة سيزيف

استلهم السياب أسطورة سيزيف(sisyphe) ووظفها في نصوصه الشعرية، ليجسد بها الوضع الإنساني السائد في عصره، حيث صرح بالأسطورة في قصيدته المعنونة بـ **رسالة من مقبرة**، وهذا العنوان يمدنا بإضاءة خاطفة لجو القصيدة ويتقدم كلمحة ابتدائية لهوية المتن الشعري، فهو عبارة عن جملة اسمية تتكون من لفظتين: الرسالة تحمل في مضمونها آلام الطلاب الثائرين، أما المقبرة فتدل على نهاية الحياة والنسيان يقول السياب:

"وَعِندَ بَابِي يَصْرُخُ الأَشْقِيَاء
وَاعْصُر لَنَا مِنْ مُقْلتَيْكَ الضِّيَاء
فَإِنَّنَا مُظْلِمُونْ!
وعِنْدَ بَابِي يَصْرُخُ المُخْبِرُونْ:
وَعْرٌ هُوَ المَرْقَى إِلَى الجَلْجَلَة!
وَالصَّخْرُ يَا سِيزِيفْ، مَا أَثْقَلهْ
سِيزِيفْ... إِنَّ الصَّخْرَةَ الآخَرُونْ " (السياب، 2012، صفحة 58)

نجد في هذه المقطوعة تجليا واضحا للأسطورة، حيث تعاطف السياب مع شخصية سيزيف الذي سلّط عليه العذاب الأبدي، وكأن الشاعر يقول لسيزيف أنه يعاني ويعيش حياة بائسة مثله ولا أحد يهتم لثقل الصخرة وتحمّله الألم.

ولقد استثمر الشاعر تيمة أسطورة سيزيف وطوّعها في قصيدته، حيث يقول في متنه الشعري:

"فِي فَوهَةِ القَبْرِ المُغَطَّاةِ سُورْ
هَذَا مُخَاضُ الأَرْضِ لَا تَيْأَسِي
بُشْرَاكِ يَا أَجْدَاثْ، حَانَ النُّشُورْ
بُشْرَاكِ فِي "وهْرَانَ" أَصْدَاءَ صُورْ
سِيزِيفْ أَلْقَى عَنْهُ عِبْءَ الدُّهُورْ"
(السياب، 2012، صفحة 59)

فزاوية الانفراج بين الدلالة الأصلية (أسطورة سيزيف) والدلالية النصية (كفاح سكان وهران) جعلت شعرية الأسطورة مضيئة، حيث امتزجت ودخلت في صلب التجربة الحالية لتخلق أسطورة تغاير نمطها المعهود وحقيقتها التاريخية، فنلمس ذلك الأمل المشرق في نفوس سكان مدينة وهران الجزائرية.

فرغم تشبيه السياب لسكان مدينة وهران بالموتى وتحملهم الألم مثل سيزيف الذي تحمل ألم الصخرة، إلا أننا نلمس ذلك الأمل المشرق من سماء وهران الجزائرية، في الخلاص من صخرة العبودية والثورة على الاستعمار، عكس سيزيف الذي استسلم لقدره المحتوم.

أما الإشعاع فكان مستترا لأن التجلي كان تاما، فقد استطاع الشاعر أن يسقط أسطورة سيزيف على الواقع المعاش من خلال التشابه في صفات الألم والمعاناة.

ويمكن تحديد هذا التجلي الأسطوري في مخطط بيرس:

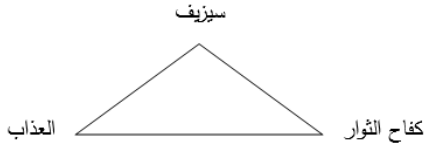

هذا النمط الثلاثي يحيل على وجود علامة لسانية تجمع بين الدال (سيزيف) والمدلول (العذاب) والموضوع (الكفاح)؛ فسيزيف رمز العذاب الأبدي يشترك مع الثوار في الكفاح وتحمل العذاب.

4.3. تجليات أسطورة سربروس:

تعكس القصيدة رؤية السياب للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والخراب الذي تعرضت له أرض العراق حين اختار الشاعر أسطورة سربروس وجعلها عنوانا لإحدى قصائده، فهو يحيل إلى عوالم رمزية وأسطورية موغلة في الميثولوجيا الإنسانية، حيث جاء العنوان – **سربروس في بابل**- جملة اسمية تحيل على الثبات

والسكون، وهي مركب من اسمين بينهما حرف جر.

أما من الناحية الدلالية: فسربروس يعرف بأنه رمز أسطوري يحيل على الدمار والخراب والتشوّه، فهو رمز للشر والفناء وهو كائن خرافي على هيئة كلب له ثلاثة رؤوس، ينفث السم ويحرس بوابة العالم السفلي (مملكة الموتى) في الميثولوجيا الإغريقية، في حين كلمة بابل تحيل على رمز تاريخي ارتبط بالحضارة العراقية القديمة؛ فالشاعر بصدد استكناه الأعماق المظلمة لأمة حل بها الظلم والظلام والاستبداد، حيث يصور في قصيدته **سربروس في بابل** الفترة الحرجة التي عاشتها العراق أثناء الصراع الذي كان قائما بين الظلم والعدل، وهذا ما دفعه لاتخاذ الأساطير رموزا يختفي وراءها لتحقيق رؤيته وعدم تعرضه للمساءلة من طرف قادة الحكم في العراق يقول:

"لِيَعْوِ سَرْبَرُوسَ فِي الدُّرُوبْ
فِي بَابِلَ الحَزِينَةِ المُهَدَّمَة
وَيَمْلأُ الفَضاءْ زَمْزَمَه
يُمَزِّقُ الصّغَارَ بِالنُّيُوبِ، يَقْضِمُ العِظَامْ
وَيَشْرَب القُلُوبْ
عَيْنَاهُ نَيْزَكَانِ فِي الظَّلاَمْ
وَشِدْقُهُ الرَّهِيبُ مَوْجَتَانِ مِنْ مَدَى
تُخَبِّئُ الرَّدَى
أَشْدَاقُهُ الرَّهِيبَةُ الثَّلاَثَةُ اِحْتِرَاقْ
يَؤُجُّ فِي العِرَاقْ
(السياب، 2012، صفحة 129)

والمتأمل في قصيدته يجد الأسطورة تظهر بشكل جلي في العنوان (سربروس في بابل)، ثم ينتقل الشاعر إلى المتن الشعري ويستحضر الأسطورة ذاتها ليعبر عن الصراع والألم الذي يعاني منه، والخراب الذي لحق بالعراق، فسربروس يخوض رحلة حافلة بالشر والظلم يجول بين السهول والوهاد بحثا عن أشلاء تموز الذي يرمز للبعث والتجدد.

أما المطاوعة فكشفت عن الدلالة الأصلية للأسطورة، حيث يلاحق سربروس عشتار إلهة الحب ويحاول إلحاق الأذى بها، ليمنع عودة تموز الذي يحضر معه الضياء أملا في مستقبل مشرق، بعد ما كانت العراق تحت سلطة حكامه الفاسدين أمثال سربروس، وهنا يتجلى صراع ملحمي بين قوى الخير والشر يقول السياب:

"لِيعْوِ سَرْبَرُوسَ فِي الدُّرُوبْ
وَينْبِشُ التُّرَابَ عَن إِلَهِنَا الدَّفِينْ
تَمُّوزِنَا الطَّعِينْ"
(السياب، 2012، صفحة 129)

جاء الإشعاع واضحا حيث تزخر القصيدة بالملامح الأسطورية على مستوى العنوان (سربروس في بابل) مرورا بالمتن أين تجلت العناصر الأسطورية من مقطع لآخر مثل: يمزق الصغار، يقضم العظام، عيناه نيزكان في الظلام، ويمكن ترجمة هذا التجلي حسب ثلاثية بيرس:

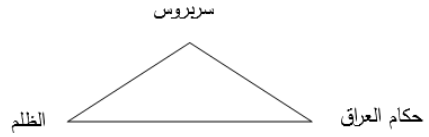

افتتح الشاعر القصيدة بلحظات الحزن والظلم واختتمها بلحظات الخصب والنماء، من خلال تشكيل اتحاد بين عشتار وتموز لتحدي سربروس وجور الحكام، وهذا بمثابة قناع للتعبير عن الموت والحياة واليأس والأمل.

5.3. تجليات أسطورة العنقاء (الفينيق):

وظف الشاعر في قصائده "طائر العنقاء، ويقال لها عنقاء مغرب، وهي طائر خرافي ضخم تنقض على الطيور فتأكلها وأحيانا تنقض على الإنسان، وهي إنما سميت عنقاء مغرب لأنها تغرب بكل ما تأخذه"(حلاوي، 1992، صفحة 92) فالعنقاء طائر أسطوري عظيم يعيش في جبل الأولب يرمز للحياة والموت، يقوم هذا الطائر بإحراق نفسه ليعود من رماده إلى الحياة، ونجد أن السياب قد استغل معطيات الأسطورة في تجربته الشعرية

وبالتحديد في قصيدته الحاملة لعنوان **رؤيا عام 1956** ومزج بين الرؤية الواقعية والرؤيا النفسية في وصفه لحال العراق، وكأنه تنبأ بأنها سوف تزداد جراحها عمقا ونزيفا يقول الشاعر:

"حَطَّتْ الرُؤْيَا علَى عَيْنِي صَقْرًا مِنْ لَهِيب
إِنَّهَا تَنْقَضُّ، تَجْتَثُّ السَّوَاد...
أَهُوَ بَعْثٌ، أَهُوَ مَوْتٌ، أَهِيَ نَارٌ أَمْ رَمَاد
أَيُّهَا الصَّقْرُ الإِلَهِيُّ الغَرِيب
أَيُّهَا المُنْقَضُّ مِنْ أُولَمْبَ فِي صَمْتِ المَسَاءْ
رَافِعًا رُوحِي لِأَطْبَاقِ السَّمَاءْ
رَافِعًا رُوحِي غَنِيمِيدَا جَرِيحًا
صَالِبًا عَيْنَيْ تَمُّوزًا، مَسِيحًا"
(السياب، 2012، صفحة 88)

من خلال الانتقال بين ثنايا القصيدة، يتضح لنا أن توظيف الأسطورة لم يكن سطحيا بل كان عميقا استحضر من خلاله صورة الراعي اليوناني غنيميدا الذي وقع زيوس (zeus) كبير آلهة الأولمب في حبه، فأمر باختطافه وهذا يبين صورة الحب المقترن بالعذاب، حيث استطاع الشاعر التعامل معها وربطها بظروفه وكيان أمته وكأن هذه الأمة ستنهض وستعيد مجدها وعزتها وقوتها، وستبعث من جديد كما يبعث طائر الفينيق بعد موته.

طوع الشاعر قصيدته بدلالات أسطورية واستطاع أن يوحد بين العنقاء وتموز، ليعكس رؤيته القومية ويربط القضايا القديمة بالجديدة. أما الإشعاع فجاء مستترا ولّد معاني ودلالات حول العلاقة بين الموت والحياة، وسنوضح التجلي الأسطوري في هذا المخطط:

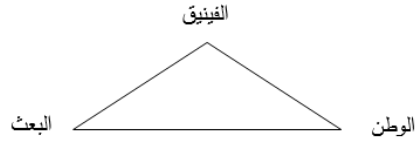

يسري فعل الموت عبر النص من خلال لفظة الرماد (بقايا طائر الفينيق)، وتغلل في المتن لكي يعيد مجد الوطن (العراق)، حيث سينهض ويستعيد سيادته مثلما تبعث العنقاء من رمادها.

6.3. تجليات أسطورة سندباد:

أصبح استخدام أسطورة السندباد ظاهرة من ظواهر الشعر العربي المعاصر، وهذا ما يؤكده عز الدين إسماعيل في قوله: "شخصية السندباد قد ظفرت باهتمام معظم الشعراء المعاصرين إن لم نقل كلهم ويكفي أن تفتح أي ديوان جديد حتى يواجهك السندباد في قصيدة منه أو أكثر، وكم فجر الشعراء في هذه الشخصية الشعبية الفنية من دلالات، لقد تصور كل شاعر في وقت من الأوقات أنه هو السندباد"(اسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، (د/س)، صفحة 35) وذلك لوجود تشابه بين شخصية السياب الشاعرة و السندباد، حيث ألهم الشعراء برؤى البعث ورفض الواقع الهش، وذلك ما نجده في قصيدة **رحل النهار** التي تتجلى فيها الأسطورة انطلاقا من العنوان من خلال لفظة (رحل) حيث كان التجلي ملغزا أدى إلى خلق شعرية رائعة وراقية، وهذا العنوان جاء جملة فعلية تتكون من فعل(رحل) وفاعل (النهار)، أما من الناحية الدلالية فيرمز إلى النهاية والرحيل، كما انبثق منه حقلين دلاليين أحدهما دال على معاناة الشاعر الذي عبر عنه بكلمة الرحيل، والثاني دال على الطبيعة والزمن مرتبط بكلمة النهار.

وفي المتن الشعري نلمس ظهورا صريحا للسندباد في قوله:

"رَحَلَ النَّهَارْ
هَا إِنَّهُ اِنْطَفَأَتْ ذُبَالَتُهُ عَلَى أُفُقٍ تَوَهَّجَ دُونَ نَارْ
وَجَلَسْتِ تَنْتَظِرِينَ عَوْدَةَ سِنْدِبَادْ مِنَ السِّفَارْ
وَالْبَحْرُ يَصْرُخُ مِنْ وَرَائِكَ بِالْعَوَاصِفْ وَالرُّعُودْ.
هُوَّ لَنْ يَعُودْ،
أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّهُ أَسَرَتْهُ آلِهَةُ البِحَارْ
قَلْعَةٍ سَوْدَاءٍ فِي جُزُرٍ مِنَ الدَّمِ وَالمَحَّارْ"(السياب، منزل الأقنان، 1963، الصفحات 05- 06)

فالسـندباد معـروف بطـابع الاغتـراب والتجـوال وحب المغامرة، فهو رمز لاختراق المجهول والبحث عـن الحقيقـة، لـذلك عمـد السـياب إلى توظيفـه ليعبـر عـن حالتـه النفسـية أثنـاء انتقالـه مـن مستشـفى لآخـر حتى يتلقى العـلاج، حـاملا معـه آلامه من بلـده العـراق إلى بـلاد الغربـة. فالسـياب فسـحة أملـه في العـودة إلى بـلاده ضـئيلة عكـس السـندباد الـذي ينـجح في خـوض غمـاره وعودتـه سالما لبلاده يقول الشاعر:

"رَحَلَ النَّهَارْ
فَلْتَرْحَلِي، هَوَّ لَنْ يَعُودْ"(السياب، منزل الأقنان، 1963، صفحة 06)

فكلمة الرحيل تدل على أن السياب لن ينفذ من واقعه المحتوم، عكس السندباد الذي يطغى عليه عنصـر الخيـال ويسـاعده في تخطي الصـعاب، فدلالـة الأسـطورة الأصـلية طوّعهـا في نصـه الشـعري وحوّرهـا حسـب حالتـه النفسـية فأصبحت مناقضة لما هو مألوف.

إشـعاع الأسـطورة يظهـر سـاطعا، حيـث امتـد من العنـوان وظل حاضـرا في الـنص يشـع من مقطـع لآخـر، وهـذا دليـل على توظيفهـا شـعريا، ولـذلك سنوضـح دلالـة أسـطورة السـندباد مـن خـلال مخطط بيرس السيميائي:

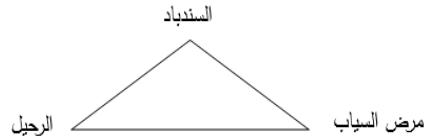

يشـترك السـندباد والسـياب في عنصـر الرحيل من مكان لآخر؛ فالسـندباد كان رحيله من أجل المتعة والمغامرة واكتشـاف دهاليز المجهول، أما السـياب فارتبط رحيله بالبحث عن خيوط الأمل في عيشـه وفي شـفائه من أسـقامه وعودته إلى وطنه بعـدما عـاش فتـرة مـن حياتـه طريـدا بسـبب ميولاتـه الأيديولوجية وتوجهاته السياسية.

7.3. تجليات أسطورة عوليس (أوديسيوس):

نسج الشـاعر أبيات قصيدته الموسـومة: **بحامل الخـرز الملـون** بخيـوط الخيـال المشـبع بمعانـاة عوليس (ulysse) حيث تنبض القصيدة بعناصر أسطورية غير واضحة المعالم، والمتأمل في عنوان القصيدة يجد أنـه يحمل دلالـة قوية من خلال لفظتي (الخرز الملون)، فهذا المركب اللساني يبدو من الوهلة الأولى مبهما، لكن قراءته العميقة قد تزيل بعض الغموض وتوحي بإعطاء طاقة إيجابية وقوية لحامله، وجلب الحظ ومقاومة الحسد.

عـوليس بطـل أسـطوري شـهير يرمـز للاغتـراب، ويكابـد العـذاب الـذهني والجسـدي والنفسـي والخلود الأبدي يقول السياب في قصيدته موظفا ذلك:

"مَاذَا حَمَلْتَ لَهَا سِوَى الخَرَزْ المُلَوّن وَالضَّبَابْ؟
مَا خضتْ فِي ظُلُمَاتِ بَحرٍ أو فتَحْتَ كوَى الصُّخورْ
وَالرّيحُ مَا خَطفَتْ قلوعكَ، وَالسَّحابْ
مَا بَلَّ ثَوبَك. مَا حَملت لهَا سِوى الدَّم والعَذابْ"(السياب، منزل الأقنان، 1963، صفحة 33)

نلاحـظ أن الشـاعر قـد استحضـر الأسـطورة في القصيدة بـدلالتها دون ذكـر لفظها فعنـدما، نلج عالم القصيدة (حامل الخرز الملون) نجد تكثيف دلالي للأسـطورة، ومن هنا يتضح أن التجلي جاء مقترنـا بقرينـة لفظيـة لمّـح لهـا السـياب في متنـه الشعري.

كما استطاع إضافة لمسة المطاوعة، وإعادة إحياء الأسطورة استجابة لتجربته الشعورية، فظهر لنا امتـداد واضـح للمطاوعـة وكأنـه ألـبس المـتن الشعري بالدلالات الأسطورية يقول:

"فِي سِجْنِهَا هيَّ، وهُو مِن أَلَم وفَقْر وَاغْتِرَاب
عَشْر من السَنوَاتِ مرَّت وهيَّ تَجْلِس فِي إرْتِقابْ
أَطْفَالهَا المُتوَثبُون مَع الصَّبَاح
صَمَتُوا وكَفُّوا عَن مرَاح،
جَرتهُمْ لِتُحِس وَقْع خُطَاك. بَرعَمت الزُّهُورْ
وَأتَى الرَّبِيع ومَا أتَيْتَ، وجَاء صَيفٌ ثُمَّ رَاحْ"
(السياب، منزل الأقنان، 1963، صفحة 34)

فهناك تشابه بين حالة أوديسيوس بطل الأوديسة الذي ظل طريق عودته في عرض البحر ومعاناة السياب في مستشفيات البلدان العربية والأوروبية فالأول تصوير لشخصية ميثولوجية يحارب من أجل العودة لزوجته بينيلوب والثاني يحارب مرضه للأمل في الحياة.

بينما الإشعاع عمل على إضاءة النص الشعري بالهالات والإيحاءات الأسطورية فجاء ساطعا فتح للقارئ خصوصية القراءة والتأويل وفك شفرات النص، كما أنه عمل على تدفق الشعرية من جوانب المتن الشعري، وللتوضيح أكثر نستحضر مخطط بيرس للتعبير عن العلامة اللسانية:

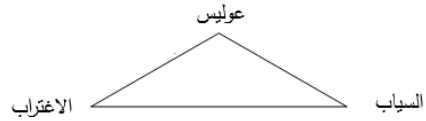

يتخذ النص الشعري طابعه الأسطوري من خلال استحضار الأساطير بأسمائها ودلالاتها اللغوية، وقد استطاع السياب استدعاء المعاني الدلالية للتعبير عن قضايا معاصرة شغلت فكره الإنساني وانتمائه الإيديولوجي.

4. خاتمة:

استطاع الشاعر دمج الأسطورة مع تجربته الذاتية حين جعل النماذج الأسطورية تشحن قصائده بطاقات إيحائية ودلالات نابضة، وهذا ما لمسناه أثناء تجربتنا القرائية لفضاء القصائد وإدراج نسق العلامات اللغوية لتضمن لها الخصوصية، خلصنا من خلالها إلى جملة من الملاحظات متمثلة في:

- اعتبار منهج النقد الأسطوري منهجا ملائما لدراسة الأساطير وتعالقها مع النصوص الشعرية.
- تعمل الأسطورة في طياتها على التكثيف الدلالي، حيث يستطيع الشاعر بإشارة واحدة أن يحمل المتن الشعري بمعاني أسطورية، وهذا تضمين يراد به استحضار الدلالة القديمة بصورة جديدة.
- ركّز السياب على توظيف الأساطير المشتركة بينه وبين الواقع الذي يعيشه.
- الأسطورة على اختلاف أنواعها مصدر مهم لأي شاعر، لأنه يستمد منها سلاح رؤاه وتصوراته الفكرية.
- استطاع السياب من خلال توظيف العناصر الأسطورية تسليط الضوء على واقع بلده والتعبير عن آلامه وآماله وانتمائه الإيديولوجي.
- نثر الشاعر عناصر أسطورية متنوعة كتموز وعشتار وسربروس والعنقاء والسندباد، وتفنن في توظيفها فهناك أساطير عرضها بأسمائها وأخرى عبّر عنها بقرينة توحي بماهيتها.

5. قائمة المراجع:

1. أحمد محمد، فتوح، (1977)، **الرمز والرمزية في الشعر المعاصر**، دار المعارف القاهرة، مصر.
2. بدر شاكر، السياب، (2012)، **أنشودة المطر**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر.
3. بدر شاكر، السياب، (1963)، **منزل الأقنان**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
4. جوزيف، كامبل، (2001)، **الأساطير والأحلام والدين**، دار الكلمة للنشر والتوزيع دمشق، سورية.
5. عز الدين، إسماعيل، (د/س)، **التحليل النفسي للأدب**، دار غريب للطباعة، القاهرة، مصر.
6. عز الدين، إسماعيل، (د/س)، **الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية**، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان.
7. عماد علي، الخطيب، (2006)، **الأسطورة معيارا نقديا دراسة في النقد العربي الحديث والشعر العربي الحديث**، دار جهينة، عمان.
8. عمر، دقاق، (1963)، **الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث**، مكتبة دار الشرق، حلب، سوريا.

9. فـــراس، الســـواح، (2002)،**لغـــز عشـــتار، الألوهـة المؤنثـة وأصـل الـدين والأسـطورة**، دار علاء الدين،دمشق، سورية.
10. نـذير، العظمـة، (2015)،**أدب المقاومـة بـين الأسطورة والتاريخ دراسـة نقدية**،دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة،دمشق، سورية:.
11. يوســف، حــلاوي، (1992)،**الأســطورة في الشـعر العربـي**، دار الحداثـة للطباعـة والنشـر والتوزيع،بيروت، لبنان.